مجلة كلية الآداب بقنا (دورية أكاديمية علمية محكمة)

التوازي التركيبي في ديوان حافظ إبراهيم دراسة دلالية في الأنماط التركيبية

د. صلاح محمد أبو الحسن مكي

مدرس بمعهد قراءات القرآن الكريم بالأقصر

المقدمة

هذه دراسة بعنوان " التوازي التركيبي في ديوان حافظ إبراهيم[١] دراسة دلالية في الأنماط التركيبية "؛ وهي دراسة تهدف، بشكل رئيس ومباشر، إلى تحليل ظاهرة التراكيب المتوازية[٢] في ديوان حافظ إبراهيم تحليلا لغويا موضوعيا للكشف عما يتيحه النص الأدبي من أسرار أدبية استنادا إلى أسس لغوية موضوعية ، لما لهذه التراكيب من أهمية كبيرة في بناء النص، واتّساقه وانسجامه ، ويتم ذلك من خلال المحاور الآتية

(١) هو محمد حافظ ، ابن المهندس إبراهيم فهمي ، أحد المهندسين المشرفين على قناطر ديروط ، رزق بابنه حافظ وهو يقيم في " ذهيبة " كانت راسية على شاطئ النيل ، وكان أبوه إبراهيم فهمي مصريا صميمًا. أما أمه فهي السيدة " هانم بنت أحمد البورصه لي " من أسرة تركية محافظة عريقة تسكن حي المغربلين ، أحد الأحياء الشعبية القديمة بمدينة القاهرة ، لم يعرف بالضبط تاريخ مولد الشاعر ــ ومن واقع الأوراق الرسمية في ملف خدمته ، يتبين أنه عندما أحيل إلى القومسيون الطبي لتحديد سنه عندما أريد تعينه في دار الكتب المصرية ، وكان ذلك في ٤ فبراير ١٩١١م ، قدر القومسيون الطبي سنه يومئذ بتسع وثلاثين سنة ، وتأسيًا على هذا قرر أنه ولد في ٤ فبراير ١٨٧٢م ؛ ولما كان قد توفي يوم ٢١ من يوليه سنة ١٩٣٢م فكأنه عاش ستين سنة وبضعة أشهر ، حكم مصر خلالها من أسرة محمد علي ، الخديوي إسماعيل و محمد توفيق وعباس حلمي الثاني ، ثم السلطان حسن كامل والملك أحمد فؤاد الأول من بعده ؛ ينظر : ديوان حافظ إبراهيم ، ضبطه وصححه وشرحه ورتبه أحمد أمين وآخرون ــ الهيئة المصرية العامة للكتاب ــ ط٢ ــ ص ١٨ــ ١٩٨٧م.

(٢) ونقصد بالتراكيب المتوازية في نطاق هذا البحث : الجمل التي يقوم الشاعر بتقطيعها تقطيعا متساويا بحيث تتفق في البناء النحوي اتفاقا تاما، سواء اتفقت هذه الجمل في الدلالة أم لم تتفق، فالمهم هو التطابق التام في البناء النحوي للتراكيب المتوازية، ويشترط لهذا التوازي أيضا التوالي، فإذا توازت جملتان غير متواليتين فلا يدخل ذلك في نطاق هذه الظاهرة لوجود فاصل شكلي بين الجمل المتوازية، وهذا الفاصل الشكلي يفقد النص التوازي المقصود، ويفقده كذلك كثير من الأبعاد الدلالية المقصودة من هذا التوازي.

أولاً : التوازي التركيبي في ضوء التراث العربي

لم يذكر اللغويون العرب القدامى معنى لمصطلح التوازي (١)، وإذا تأملنا لغوية التوازي كما جاء في لسان العرب ، وجدناها تأخذ معنى المقابلة والمواجهة ، قال : والأصل فيه الهمزة ، يقال أزيتهُ إذا حاذيتهُ(٢).

إذن هناك ديمومة حركية في البنية التركيبية للنص، فالتوازي (عنصر تأسيسي وتنظيمي في آن واحد)(٣) إذ يقوم على تقييد العلاقة ما بين اللفظ والمعنى وحصرها في حدود التطابق من جهة ، والوضوح من جهة ثانية(٤).

من هنا يمكن أن تتمخض اصطلاحية التوازي من ذلك التحديد اللغوي الذي يمثل أساساً جذرياً مهماً في مفهومهِ بوصفه (التشابه الذي هو عبارة عن تكرار بنيوي في بيتٍ شعري أو في مجموعة أبيات شعرية)(٥).

وقد ظهرت تعريفات اصطلاحية عديدة للتوازي منها ؛ أنّ التوازي هو" تشابه البنيات واختلاف في المعني" ، وكذلك عرف التوازي بأنه " عبارة عن عنصر بنائي في الشعر يقوم على تكرار أجزاء متساوية" (٦).

---

(١) لا وجود لهذا المصطلح في كتب المصطلح التراثية كالتعريفات للجرجاني ، أو كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي ، أو الكليات لأبي البقاء الكفوي ، لأنه من مصطلحات المحدثين ؛ وقد كان القدماء نقادًا وبلاغيين علي وعي تام بمفهوم هذه الظاهرة ، وإن اختلفوا في مصطلحاتهم الدالة عليها ؛ فقد أطلق عليها قدامة بن جعفر مصطلح " اتساق البناء" ، وأطلق عليها القزويني "الموازنة" ، وأطلق عليها ابن أبي الأصبع المصري "المماثلة" ، وأطلق عليها أسامة بن منقذ "التشطير" ، وأطلق عليها السكاكي "المقابلة" ، للمزيد ينظر : قدامة بن جعفر : جواهر الألفاظ ص١٢ ، القزويني : الإيضاح في علوم البلاغة ص٥٢٢ ، ابن أبي الأصبع المصري : تحرير التحبير ص٢٩٧ ، أسامة بن منقذ : البديع في نقد الشعر ص١٢٨، السكاكي : مفتاح العلوم ص٤٢٣ ، و يمكن تعريف مصطلح التوازي التركيبي عند المحدثين : بأنه تكرار أنماط تختلف في مفرداتها وتتوازى في مكوناتها النحوية . ينظر : السيد خضر : التكرار الأسلوبي في اللغة العربية ــ ص١١٤ ، عبد الوافي حسن الشيخ : البديع والتوازي ــ ص٧ .

(٢) ينظر لسان العرب، ابن منظور : مادة (وزي)، مج١٥/ ١٣٩١.

(٣) ينظر المشاكلة والاختلاف : النظرية النقدية العربية وبحث في الشبيه المختلف: د. عبد الله الغذامي، ٤٨.

(٤) التلقي والتأويل : مقاربة نسقية : د. محمد مفتاح : ١٤٩ .

(٥) التشابه والاختلاف : نحو منهاجية شمولية : د. محمد مفتاح : ٩٧، وقد عرفه تحت عنوان (التشاكل)، ينظر تحليل الخطاب الشعري : استراتيجية التناص : د. محمد مفتاح : ٢٥.

(٦) موسى ربابعة : ظاهرة التوازي في قصيدة الخنساء ــ مجلة العلوم الإنسانية ــ المجلد ٢٢ ــ العدد٥ ــ ١٩٩٥م ــ

ونعني بالتوازي التركيبي ؛ التماثل الموقعي لجل وافية الأركان ، أو قريبة من ذلك ، تتابع رأسيـــاً في الأبيات ، بحيث يبدو النسق النظمي لها واحد وإن اختلفت الوحدات الصوتية والصيغ الصرفية المكونة للكلمات ؛ بذلك فنحن بصدد معالجة تراكيب متماسكة وجمل متآلفة هي أساس التحليل التركيبي ، وهو ما يعنى به علم التراكيب الذي يدرس " العلاقات الناشئة بشكل مطرد بين الصيغ الصرفية ، أو الكلمات التي تظهر في تراكيب مختلفة ، كما يعنى بدراسة نظام ترتيب وتآلف الكلمات في جمل" (١).

ومن ثمَّ يُمهد التحليل التركيبي للوصول إلى الدلالة الكلية ، التي تُستخلص من التئام الكلمات ، وتعلقها مع بعضها البعض في جملة مُبَـيَّـنَـــة العناصر والأركان.

وتخلق عملية التوازي نوعـــــاً من التناظر أو التوافق غير المعلن بين تركيبين ــ في الغالب ــ لا يتفقان إلا في شكلهما النظمي فقط ؛ ومن ثمَّ يكون التوافق والتآلف بين دلالتي التركيبين ناشـــئًـــا بصورة غير مباشرة من خلال توازي التركيبين.

وتُعد ظاهرة التوازي التركيبي من الظواهر الرئيسة المؤثرة في اللغة ، ولها وجود ملحوظ في القرآن الكريم ، والحديث النبوي الشريف ، وكلام العرب القدماء شعرًا ونثرًا.(٢)

ولقد كان القدماء ، نقادًا وبلاغيين علي وعي تام بمفهوم هذه الظاهرة ، وإن اختلفوا في مصطلحاتهم الدالة عليها فعرضوا لنماذج كثيرة قرآنيّة ، وحديثيّة ، وشعريّة ، ونثريّة ، يلحظ فيها هذا التوازي أثناء تناولهم لبعض المصطلحات النقديّة والبلاغيّة(٣).

لذا يذكر رومان ياكبسون أنَّ البنى المتوازية العامة في الشعر يمكن أن تعمم على النثر(٤) أي أنَّ التوازي يكون في الشعر والنثر.

---

(٢) كريم زكي حسام الدين : أصول تراثية في علم اللغة ص٢٣٣.

(٣) محمود فهي حجازي : علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة ــ ص٧٢

(٤) تناول قدامة بن جعفر (ت ٣٣٧هـــ) لمصطلحات: (صحة المقابلة، وصحة التقسيم، والمساواة) في كتابـــه: نقد الشعر ــ ص ١٤١، ١٤٣، ١٥١ ، وتناول أبي هلال العسكري (٣٩٥هـــ) لمصطلح: (المقابلة) فـــي كتابه: الصناعتين: الكتابة، والشعر ــ ص ٣٧١ ، وتناول أسامة بن منقـــذ، (ت٥٢٨هـــــ)، لمصـــطلحي: (التقسيم، والتجزئة) في كتابه: البديع في نقد الشعر ــ ص ١٢٨–١٢٩ ، وتناول أبي يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي، (ت ٦٢٦هـــ)، لمصطلحات: (التفريق، والتقسيم، والجمع مع التفريـــق) فـــي كتابه: مفتاح العلوم ــ ص ٤٢٥–٤٢٦، وتناول الخطيب القزويني، (ت ٧٣٩هـــ)، لمصطلحات: (المطابقة، والمقابلة، والتقسيم) في كتابه: الإيضاح في علوم البلاغة ــ ص ٤٧٧، ٤٨٥، ٥٠٦.

(٤) رومان ياكبسون : أفكار وآراء حول اللسانيات ــ ص١٠٧.

ولهذه الظاهرة وجود ملحوظ في القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، وكلام العرب القدماء، شعرا ونثرا.

فمن أمثلة التوازي في القرآن الكريم قوله تعالى-:

{ وَالمُرْسَلات عُرْفًـــا * فَالعَاصِفَات عَـصْفًـا * وَالنَّـشِرَاتِ نَشْرًا * فَالفَارِقات فرقًـا * فَالمُلقيات ذِكرًا * عُذرًا أوْ نُذرًا * إنَّما تُـوعَدون لَوَاقِعٌ * فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ * وَإِذَا السَّمَاءِ فُرِجَتْ * وَإِذَا الجِبَالُ نُسِفَتْ * وَإِذَا الرُّسُـلُ أُقتتْ). (المرسلات ١:١١)

وقوله تعالى :

(إِذَا الشَّمْسُ كُوِرَتْ * وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ * وَإِذَا الجِبَالُ سُيِّرتْ * وَإِذَا العِشَارُ عُطِّلَـتْ * وَإِذَا الوُحُوشُ حُشِرَتْ * وَإِذَا البِحَارُ سُجِّرتْ * وَإِذَا النُّـفُوسُ زُوِّجَتْ * وَإِذَا المَوْءُودَةُ سُئِـلَتْ) (التكوير ١:٨).

وقوله تعالى :

{وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ * وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ}

الصافات ١١٧-١١٨]

ومن أمثلته في الحديث قول الرسول الكريم -صلى الله عليه وسلم- :

"من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليصل رحمه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت"(١).

ومن أمثلته في الشعر قول أبي تمام :

فالشمس طالعة من ذا وقد أفلت ***

*** والشمس واجبة من ذا ولم تجب.

ويقول أيضا :

فتح الفتوح تعالى أنْ يحيط به ***

*** نظم من الشعر أو نثر من الخطب.

ويقول :

تدبير معتصم بالله منتقم ** لله مرتقب في الله مرتغب

وقول محمد الهراوي :

---

(٢)رواه البخاري : كتاب صحيح البخاري ــ باب الأدب ــ الحديث رقم : (٥٧٨٧) .

لنا التاريخ فيّاض المعاني * لنا الأسرار معجزة البيان

ويقول أيضًا :

نحن للآداب ذخـــر * نحن للأخلاق صرح

نحن للأوطان نصر * يـــوم تدعونا وفتـــح

وقول المتنبي:

أزورهم وظلام الليل يشفع لي *** وأنثني وبياض الصبح يغري بي.

ومن أمثلته في النثر قول بعض الحكماء:

"إذا أراد الله بعبده خيرًا ألهمه الطاعة، وألزمه القناعة، وفقهه في الدين، وعضده باليقين، فاكتفى بالكفاف، واكتسى بالعفاف، وإذا أراد به شرا حبب إليه المال، وبسط منه الآمال، وشغله بدنياه، ووكله إلى هواه، فركب الفساد، وظلم العباد"(١).

ومن أمثلته في النثر أيضـــاً ما قاله أحد الحكماء لابنه ــ سائلا إياه:

أخبرني عن أحبِّ الرجال إليك ؛ فقال الابن : (السيد الجواد ، القليل الأنداد ، الماجد الأجداد ، الرَّاسي الأوتاد ، الرفيع العماد ، العظيم الرَّمـــاد ، الكثير الحُـــسَّاد ، الباسل الزوَّاد ، الصَّـــادر الوراد).

ثم قال الأبُّ أخبرني بأبغض الرجال إليك ، قال الابن : (البَـــرَم (٢) اللئيم ، المبطان (٣) النهيم ، الذي إنْ سُئِـــل منع ، وإنْ هدد خضع ، وإنْ طَلَبَ جَـــشِـــع). (٤)

ومن خلال ما سبق يتضح لنا أن ظاهرة التوازي االتركيبي إحدى ظواهر التعبير في اللغة العربية ، ولقد كان القدماء ، نقادا وبلاغيين ، على وعي تام بمفهوم هذه الظاهرة ، وإن اختلفوا في مصطلحاتهم الدالة عليها ، فعرضوا لنماذج كثيرة ، قرآنية، وحديثية ، وشعرية ، ونثرية ، يلحظ فيها هذا التوازي أثناء تناولهم لبعض المصطلحات النقدية والبلاغية(٥)، وهم

---

(٢) شهاب الدين محمد بن أحمد أبو الفتح الأبشيهي (ت ٨٥٠هـــ)، المستطرف في كل فن مســـتظرف ــ ص ٣١/١.

(٣) من لا يدخل مع القوم في الميسر.

(٣) من همه بطنه ، أو الرغيب لا ينتهي من الأكل.

(٣) أحمد زكي صفوت : جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة ــ مصطفي البابي الحلبي ــ القاهرة ــ ط١ ــ ١٩٢٣م ــ ج١ / ص٣٩.

(١) ينظر على سبيل المثال: تناول قدامة بن جعفر (ت ٣٣٧هـــ) لمصطلحات: (صحة المقابلة، وصحة التقسيم، والمساواة) في كتابه: نقد الشعر ــ ص ١٤١، ١٤٣، ١٥١ ، وتناول أبي هـــلال العســـكري (٣٩٥هـــ)

في هذا العرض يزاوجون بين نماذج تلحظ فيها ظاهرة التوازي وبين نماذج أخرى لا تلحظ فيها هذه الظاهرة ، وهو ما يشير ضمنا إلى أنهم لا يقصدون بهذه المصطلحات ظاهرة الجمل المتوازية ، ومن ثم فلا يمكن أن نعتبر هذه المصطلحات دالة على ما نقصده بظاهرة الجمل المتوازية.

وأكثر المصطلحات التي وردت لديهم متفقة مع ما نقصده بالجمل المتوازية في هذا البحث هو مصطلح : (اتســـــاق البناء) الذي أورده قدامة بن جعفر[١] ، (ت ٣٣٧هـــ)، وقد مثل له بقول الرسول الكريم –صلى الله عليه وسلم– لجرير بن عبد الله البجلي:

"خير الماء الشبم ، وخير المال الغنم، وخير المرعى الأراك والسلم، إذا سقط كان لجينا، وإذا يبس كان درينا، وإذا أكل كان لبينا".

ومن مصطلحاتهم الدالة على هذه الظاهرة كذلك مصطلح: (التشطير) الذي أورده أبو هلال العسكري، (ت ٣٩٥هـــ)، وقد عرفه بقوله: هو "أن يتوازن المصراعان أو الجزءان، وتتعادل أقسامهما، مع قيام كل واحد منهما بنفسه، واستغنائه عن صاحبه"[٢]، ومثل له بقول المتنبي:

أحاولت إرشادي فعقلي مرشدي * أو استمت تأديبي فدهري مؤدبي

ولم يقف بالتمثيل للمصطلح عند حدود الشعر، بل مثل له نثرا بقول بعضهم:

"من عتب على الزمان طالت معتبته، ومن رضي عن الزمان طابت معيشته".

أما أسامة بن منقذ، (ت ٥٤٠ هـــ)، فلم يفرق بين مصطلحي: (التشطير، والمقابلة)، بل جمعهما في باب واحد، وعرفهما بقوله: :"اعلم أن المقابلة والتشطير هو أن يقابل مصراع البيت الأول كلمات المصراع الثاني[٣] ومثل لهما بقول البحتري:

لمصطلح: (المقابلة) في كتابه: الصناعتين: الكتابة، والشـــعر ـــ ص ٣٧١ ، وتنـــاول أســـامة بـــن منقـــذ، (ت٥٢٨هـــ)، لمصطلحي: (التقسيم، والتجزئة) في كتابه: البديع في نقد الشعر ـــ ص ١٢٨–١٢٩ ، وتناول أبي يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي، (ت ٦٢٦هـــ)، لمصطلحات: (التفريق، والتقســـيم، والجمع مع التفريق) في كتابه: مفتاح العلوم ـــ ص ٤٢٥–٤٢٦، وتناول الخطيب القزويني، (ت ٧٣٩هـــ)، لمصطلحات: (المطابقة، والمقابلة، والتقسيم) في كتابه: الإيضاح فـــي علـــوم البلاغـــة ـــ ص ٤٧٧، ٤٨٥، ٥٠٦.

(٢) ينظر: قدامة بن جعفر : جواهر الألفاظ ـــ ص٣.

(٣) أبو هلال العسكري، الصناعتين: الكتابة، والشعر، ص ٤٦٣–٤٦٤.

(٤) أسامة بن منقذ، البديع في نقد الشعر، ص ١٢٨.

وباسط خير فيكم بيمينه * وقابض شر عنكم بشماله

وجعل السكاكي، (ت ٦٢٦ هـ)، من (المقابلة) قوله تعالى:

{فأما من أعطى واتقى * وصدق بالحسنى * فسنيسره لليسرى * وأما من بخل واستغنى * وكذب بالحسنى * فسنيسره للعسرى} [الليل ٥–١٠

وعرفها تعريفا قريبا مما نحن بإزائه، على مستوى البنية، إذ يقول: "هي أن تجمع بين شيئين متوافقين أو أكثر وبين ضديهما، ثم إذا اشترطت هنا شرطا شرطت هناك ضده"(١).

وأطلق ابن أبي الإصبع المصري، (ت ٦٤٥ هـ)، على هذه الظاهرة مصطلح: (المماثلة)، وعرفها بقوله: "هي أن تتماثل ألفاظ الكلام، أو بعضها، في الزنة دون التقفية"(٢)، ومثل لها بقوله تعالى:

{وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ * وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} [الصافات ١١٧–١١٨]

وقد أطلق القزويني، (ت ٧٣٩ هـ)، على هذه الظاهرة مصطلح: (الموازنة)، وعرف الموازنة بقوله: هي "أن تكون الفاصلتان متساويتين في الوزن دون القافية"(٣)، ومثل لها بقوله تعالى:

{ونمارق مصفوفة * وزرابي مبثوثة} [الغاشية ١٥–١٦]

وفرق بين مصطلحي: (الموازنة، والمماثلة) بقوله: "فإذا كان في إحدى القرينتين من الألفاظ أو أكثر ما فيها مثل ما يقابله من الأخرى في الوزن خص باسم المماثلة"(٤)، كقوله تعالى:

{وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ * وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} [الصافات ١١٧–١١٨]

وكقول أبي تمام:

مها الوحشي إلا أن هاتا أوانس * قنا الخطي إلا أن تلك ذوابل

وكقول البحتري:

فأحجم لما لم يجد فيك مطمعا * وأقدم لما لم يجد عنك مهربا

---

(١)يعقوب السكاكي، مفتاح العلوم، ص ٤٢٣.

(٢)ابن أبي الإصبع المصري : تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القـرآن ــ ص ٢٩٧، وبديع القرآن ــ ص ١٠٧.

(٣)القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص ٥٢٢.

(٤)القزويني، المرجع السابق، الصفحة نفسها.

ونلحظ، مما سبق، أن القدماء، نقادا وبلاغيين، كانوا على وعي تام بوجود ظاهرة الجمل المتوازية، في أنماط التعبير المختلفة في اللغة العربية، شعرا ونثرا، وكانوا على وعي أيضا بأن هذه الظاهرة ليست ظاهرة تسير في النمط المألوف لأنماط التعبير في اللغة العربية، وإنما تدخل في نطاق الأنماط غير التقليدية، أو الأنماط الأدبية، أو ما يمكن أن يسمى بالأنماط الانحرافية أو الانزياحية، ومن ثم جاء تحليلهم لها مقترنا بتحليل كثير من الظواهر الانحرافية أو الانزياحية في اللغة العربية، وإن كان للقدماء فضل السبق إلى رصد هذه الظاهرة والتبيه عليها فإن تحليلهم لها لم يتعد حدود الشاهد الواحد، أو البيت الواحد، ولم يتخط ذلك إلى حدود النص، وهو ما التفت إليه علم اللغة الحديث في إطار ما عُرف حديثا باسم: (علم اللغة النصي)، أو (علم لغة النص).

ثانيـــــاً : التوازي التركيبي ونحو النص:

عُرِفَ مصطلح: (الجمل المتوازية، أو المباني المتوازية، أو توازي المباني) في إطار ما يسمى بـــ (بعلـــم اللغة النصي) (Text linguistics)، وهو العلم الذي يعتبر النص الموضوع الرئيس في التحليل والوصف اللغوي ، وبناء على ذلك فإن مهمته الأساسية تنحصر في: "وصف العلاقات الداخلية والخارجية للأبنية النصية بمستوياتها المختلفة [١].

وإذا كان النحو يعد أحد مستويات التحليل اللغوي الأربعة فقد تفرع عن علم اللغة النصي ما يسمى بـــ(نحو النص) (Text grammar)، ويعتبُر (نحوُ النص) ظاهرةَ (الجمل المتوازية) وسيلة من وسائل الربط النحوي الشكلي، أو الظاهري، داخـــــل النص، فيرى دي بـــوجراند ودريسلر[٢] ، أن النـــص حـــدث تواصـــلي (Communicative occurence)، وقد اشترطا لهذا التواصل النصي سبعة معايير مجتمعة، ويلزم لكون النص نصا توفر هذه المعايير السبعة، ويزول عنه وصف النصية بتخلف واحد من هذه المعايير، وهذه المعايير هي:

السبك: (Cohesion).

الحبك: (Coherence).

القصد: (Intentionality).

القبول: (Acceptability).

الإعلام: (Informativity).

المقامية: (Situationality).

التناص: (Intertextuality).

ويمكن تصنيف هذه المعايير السبعة في :

١- ما يتصل بالنص فى ذاته ، وهما معيارا السبك والحبك .

---

(١) صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص ص ٢٤٧.

(٢) يُنظر تفصيل ذلك في:

Robert Allin de Beaugrand and Wolfgang Ulrich Dresslar, Interduction to text Linguistics, Longman, London, New York, P3.

٢- ما يتصل بمستعملي النص سواءٌ أكان المستعمل منتجًا أم متلقيًا ، وذلك معيارا : القصد والقبول .

٣ـــ ما يتصل بالسياق المادي والثقافي بالنص ، وذلك معايير الإعـــلام والمقاميـــة والتناص. (١)

ويرتبط معيار السبك (Cohesion) (٢) داخـــل النص بالوســـائل الـــتي تحقق ترابـــط المبـــــاني النحوية ترابطا شكليا، وتندرج وسائل الربط النحوي للنص تحت ما يمكن أن يسمى بمصطلح الاعتماد النحوي (Grammmatical dependency)، ويتحقق الاعتماد في شبكة هرمية ومتداخلة من الأنواع هي :

١- الاعتماد في الجملة .

٢- الاعتماد فيما بين الجمل .

٣- الاعتماد في الفقرة أو المقطوعة .

٤- الاعتماد فيما بين الفقرات أو المقطوعات .

الاعتماد في جملة النص . (٣)

ويبرز الاعتماد النحوي في وسائل متعددة تزخر بها النصوص، مـــن ذلـــك: "التكـــرار الخالص، والتكرار الجزئي، وشبه التكرار، وتوازي المباني، وتوازي التعبيـــر، والإســـقاط والاستبدال، وعلاقات الزمن، وأدوات الربط بأنواعها المختلفة ، فظاهرة الجمل المتوازيـــة، أو توازي المباني، إحدى الظواهر التي تحقق للنص ترابطا شكليا أو ظاهريا.

وظاهرة: (الجمل المتوازية، أو توازي المباني)، بـــالفهم الســـابق للظـــاهرة، إحـــدى الظواهر اللغوية التي يزخر بها شعرنا العربي، القديم والحديث على حد سواء، ذلـــك أنهـــا

---

(١)، سعد مصلوح :" نحو أجرومية النص الشعري " ص١٥٤.

(١) هناك أكثر من ترجمة لهذا المصطلح كـــ (الاتساق والربط والالتحام والتماسك) لكن جمهور اللســـانين اصطلح عليه بـــ (السبك) للمزيد يُنظر : تمام حسان : النص والخطاب والإجراء ص٢٢٩ ، سعد مصلوح :" نحو أجرومية النص الشعري " ص٢٢٧ ، محمد العبد : حبك النص ــ مجلة النقد الأدبي ــ (فصول) ــ العدد ٥٩ ــ ربيع ٢٠٠٢م ــ الهيئة المصرية العامة للكتاب ــ القاهرة ــ ص٥٤ ، محمد ســـالم صـــالح : صور التماسك النصي في سورة القتال ــ مجلة فكر وإبداع ــ الجزء٤٦ ــ يوليو ٢٠٠٨م ــ دار الإبداع ــ القاهرة ــ ص٩٧.

(٢)، سعد مصلوح :" نحو أجرومية النص الشعري " ص١٥٤.

تمثل نمطا من أنماط التعبير الثابتة في عقل الجماعة اللغوية العربية، والشاعر ابن اللغة، بل هو أصدق المعبرين عن هذه اللغة وأنماطها، ومما لا شك فيه أنه حينما يريد أن يعبر فإنما يستلهم، بشكل ما أو بآخر، أحد هذه الأنماط.

والشاعر في اختياره لنمط ما من بين كثير من الأنماط اللغوية التي تزحر بها اللغة إنما يبحث عن أكثر هذه الأنماط تعبيرا عن قول ما يريد أن يقول، واختياره عندئذ اختيار دقيق من بين عدة إمكانات لغوية من أجل إحكام البناء وجمال التنسيق، ولا يعني هذا الاختيار حرية خرقاء، "وإنما هو اختيار واع في إطار قد حدد بوضوح بقرارات مسبقة"(١).

ثالثا: نسبة الظاهرة في الديوان:

لم يكن اختيار ظاهرة التوازي التركيبي في ديوان حافظ إبراهيم ، محلا للبحث والدراسة، وليد الصدفة، بل إنه اختيار علمي مؤسس على وجود فعلي لهذه الظاهرة في شعرحافظ إبراهيم ، بل وإلحاح شديد من الشاعر عليها في كثير من القصائد، ويبدو ذلك واضحا من خلال فهم الشاعر للظاهرة واستيعابه لأنماطها، وتكراره لهذه الأنماط وتوظيفها توظيفا دلاليا جيدا في إطار النص.

ويوضح الجدول التالي نسبة انتشار الظاهرة في أبيات الديوان وفي قصائده:

عدد قصائد الديوان	عدد القصائد التي وردت فيها ظاهرة التوازي	عدد أبيات الديوان	الأبيات التي ورد فيها التوازي	نسبة وجود الظاهرة في الأبيات	نسبة وجود الظاهرة في القصائد
١١١	٧٩	١٩٨٣	٣٨٩	%١٩	%٧١

والمدقق في هذه النسب يرى أن الشاعر كان على وعي تام بهذه الظاهرة ، ومن ثمّ كان اللجوء إليها حينا، والإلحاح عليها أحيانا في قصائد كثيرة.

---

(١) صلاح فضل : علم الأسلوب، مبادئه وإجراءاته ــ ص ٩٠ ، للمزيد حول هذا الموضوع ينظر : البدراوي زهران ــ في علم اللغة التاريخي دراسة تطبيقية على عربية العصور الوسطى ــ ص ٣٤٢ وما بعدها ، محمود فهمي حجازي : علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة ــ ص٧٢ ، فريد عوض حيدر : شعر أبي القاسم الشابي دراسة أسلوبية ــ ص٩٨ ، كريم زكي حسام الدين : الدلالة الصوتية ــ ص١٢١ ، فاطمة محجوب : دراسات في علم اللغة ــ ص٦٧، رجب عبد الجواد، مقال: الجمل المتوازية عند طه حسين، دراسة في أحلام شهر زاد ــ ص ٢٣١.

رابعـــــاً : أنواع التوازي ومستوياته في الديوان:

لوحظ في ديوان حافظ إبراهيم نوعان من التوازي، هما: التوازي التام، والتوازي الحزئي، وكل نوع من هذين النوعين يقع في مستويين، هما: المستوى الأفقي، (مستوى بناء البيت الواحد)، والمستوى الرأسي، (مستوى بناء القصيدة)، وذلك على نحو يتضح مما يلي:

(أ) التوازي الأفقي التام .

ويقصد به التطابق التام في كل عناصر البناء النحوي للجمل المتوازيةعلى المستوى الأفقي، مستوى بناء البيت الواحد، ويكون ذلك بالتطابق التام بين كل شطرين يكونان بيتا شعريا واحدا(١).

(ب) التوازي الأفقي الجزئي.

ويقصد به التطابق التام في كل عناصر البناء النحوي للجمل المتوازية توازيا أفقيا، عدا عنصر ، أو عنصرين، من عناصر البناء، ويكون ذلك بالحذف والزيادة، أو الاستبدال، بين الشطرين المكونين للبيت الشعري(٢).

(ج) التوازي الرأسي التام.

ويقصد به التطابق التام في كل عناصر البناء النحوي للجمل المتوازية على المستوى الرأسي، مستوى بناء القصيدة، ويكون ذلك بالتطابق التام بين كل بيتين متتاليين، أو بين كل مجموعة أبيات متتالية، وهو ما يحقق للنص ترابطا بنائيا رأسيا(٣).

(د) التوازي الرأسي الجزئي.

ويقصد به التطابق التام في كل عناصر البناء النحوي للجمل المتوازية توازيا رأسيا، عدا عنصر ، أو عنصرين، من عناصر البناء، ويكون ذلك بالحذف والزيادة، أو الاستبدال، بين كل بيتين، أو مجموعة أبيات(٤).

---

(٢) محمود الشرقاوي إبراهيم : ظواهر التركيب في شعر علي محمود طه ص٦٦.

(٣) محمود الشرقاوي إبراهيم : ظواهر التركيب في شعر علي محمود طه ص٦٦.

(١) نفســــــــه ص٦٦.

(٢) نفســــــــه ص٦٦.

خامسًا : التوازي الأفقي التام بين الجمل:

التوازي الأفقي التام: ويقصد به التطابق التام في كل عناصر البناء النحوي للجمل المتوازيةعلى المستوى الأفقي، مستوى بناء البيت الواحد، ويكون ذلك بالتطابق التام بين كل شطرين يكونان بيتا شعريا واحدا.

ومن الملاحظ أن هذا التوازي التام الأفقي قد يكون بين جمل كاملة، أو بين فضلات الجمل من: (جار ومجرور، أو صفة وموصوف، أو...)، والجمل المتوازية[1] توازيا تاما أفقيا قد تكون: اسمية، وقد تكون فعلية، وقد تكون شرطية، أما كل من الجملتين: الاسمية، والفعلية فقد تكون خبرية، وقد تكون إنشائية، وهو ما سيتضح من خلال ما يلي:

(أ) : الجمل الاسمية الخبرية المتوازية:

من الملاحظ أن الجملة الاسمية الخبرية قد تكون: اسمية، خبرية، مثبتة، ومن ذلك قول الشاعر:

فالأمر أمرك والمهند مغمد * والنهي نهيك والسرى مأمون

البحر الكامل ــ [٣٩٨ /١٠][٢]

وقول الشاعر:

عين مسهدة ، وقلب واجف * نفس مروعة ، وجيب خالي

[٢٧٨ / ٦] ــ الكامل.

وقول الشاعر:

هلاك الفرد منشؤه توان * وموت الشعب منشؤه انقسام

[٣٦٩ /٩] ــ الوافر.

وقول الشاعر:

هم ألهموني فصيح الكلام * هم علموني طريق النخب

[١٧٩ / ٢] ــ المتقارب.

وقول الشاعر :

---

(٣) اعتمدنا في تصنيف الجمل في هذا البحث على الجملة الأولى في البيت.

(٥) الرقم الأول يدل على رقم الصفحة في الديوان ، والرقم الثاني يدل على رقم البيت في هذه الصفحة.

كثير الأيادي حاضر الصفح منصف * كثير الأعادي غائب الحقد مسعف

[٢٢ / ٨] ــ الطويل.

وقول الشاعر:

زكي المشاعر عف الهوى * شهي الأحاديث حلو السمر

[٥٢٥ /٢] ــ المتقارب.

وقول الشاعر:

جم المحامد غير متهم * جم التواضع غير مبتذل

[٤٧١ /٢] ــ البسيط.

وقول الشاعر:

فهنا الموت أسود اللون جون * وهنا الموت أحمر اللون قاني

[٢١٧ / ٣] ــ الخفيف.

وقول الشاعر :

وأيام الرجال لها رجال * وأيام الزمان لها غلام

[٣٦٩ / ٣] ــ الوافر.

وقول الشاعر :

ولديهم من الفنون لباب * ولدينا من الفنون قشور

[٢٣٠ /٧] ــ الخفيف.

* وقد تكون: اسمية، خبرية، منفية، ومن ذلك قول الشاعر:

ولا قيل هذا فيلسوف موفق * ولا قيل هذا عالم خبير

[٤٨٠ / ١٠] ــ الطويل.

* وقد تكون: اسمية، خبرية، منسوخة بـــ(كان) أو إحدى أخواتها، ومن ذلك قول الشاعر:

فأضحـــى لآمالنا منعشا * وأمســـــى لآلامنا مرقدا

[٢٦١ / ٦] ــ المتقارب.

وقول الشاعر:

فكان أمان القوم والشرق مشرق * فأضحى امتياز القوم والشرق مغرب

[٣٣٣ / ٥] ــ الطويل.

وقول الشاعر:

فليس وراءكم غير التجني * وليس أمامنا غير الجهاد

[٤٢٢ / ٥] ــ الوافر.

* وقد تكون: اسمية، خبرية، منسوخة بـــ(إن) أو إحدى أخواتها ، ومن ذلك قول الشاعر:

إنها النكبة التي كنت أخشى * إنها الساعة التي كنت آبى

[٥٣٣ / ٧] ــ الخفيف.

إذا ما دققنا النظر في الأبيات السابقة نجد أنها جاءت في سياقي المدح والنصح ؛ وكلا السياقين يستلزم الأسلوب السهل والجمل الواقعية الواضحة ؛ لأن الجملة الخبرية يكون القصد منها افادة أن محتواها سواء أكان اثباتا أو نفيا له واقع خارج العبارة يطابق هذا المحتوى فنصف الكلام بالصدق أو لايطابقه فنصف الكلام بالكذب [١] ؛ لذا صبّ الشاعر جُلّ اهتمامه على الجمل الاسمية الخبرية المتوازية التي تحقق له أغراضه وتضمن وصول المعاني والأفكار إلى أصحابها .

(ب) الجمل الاسمية الإنشائية المتوازية:

من الملاحظ أن الجملة الاسمية الإنشائية قد تكون اسمية، استفهامية، ومن ذلك قول الشاعر:

فمن أنا بين ملوك الكلام * ومن أنا بين كرام الحسب

[١٧٦ / ٢] ــ المتقارب.

وقول الشاعر:

أتلك الأماكن لاتستراد * أتلك الأماكن لا تجتلي

[٢٢٥ /٥] ــ المتقارب.

وقول الشاعر :

وكم فزت من رب الهلال بحكمة * وكم زنت من رب الضياء بباني

[٤٩٩ / ٧] ــ الطويل.

يلحظ أن هناك توازيا أفقيا تاما بين التراكيب الاستفهامية السابقة ، وإذا أردنا أن نعلم غرض الشاعر من هذا التوازي يجب علينا أن لا نتأمل التركيب النحوي لأسلوب الاستفهام وحسب ؛ لأن الجملة لاتتكون من مفردات هذا التركيب وحدها ؛ لأن هذه المفردات وحدها لايقوم بها كلام ولا تفيد فائدة يحسن السكوت عليها وإنما يحسن السكوت عليها إذا أجريت

(١)دلالات التراكيب دراسة بلاغية : محمد محمد أبو موسى ص١٨٥.

وراءها خيطا من العقل والحس يربط بعضها ببعض ويجعل كل واحدة منها بسبب من الأخري[١]

وإذا دققنا النظر في الأبيات السابقة وجدنا الشاعر في البيت الأول والثاني يؤكد علي معنى النصح والارشاد والتواضع ، وفي البيت الثالث يرثي الأديب الكبير والمؤرخ العظيم (جورجي زيدان) ، لذا يتضح لنا أن الشاعر ما كان يرمي القول على عواهنه وإنما كان يأتي بالتوازي التركيبي في الأغراض التي لها وقع في النفوس كالنصح والرثاء ، وكأنه وجد التوازي خير معين لإرسال إحساسه لمستمعيه.

(ج) الجمل الفعلية الخبرية المتوازية:

من الملاحظ أن الجملة الفعلية الخبرية قد تكون: فعلية، خبرية، مثبتة، ومن ذلك قول الشاعر:

حطمت اليراع فلا تعجبي * وعفت البيان فلا تعتبي

[٢٥٦ / ١] ــ المتقارب.

وقول الشاعر:

ساس البلاد وأرضى العباد * وأرضى الأمير وأرضى الأدب

[١٧٩ / ٧] ــ المتقارب.

وقو الشاعر:

ويهضم فينا الإمام الحكيم * ويكـــــرم فينا الجهول الغبي

[٢٥٩ / ٥] ــ المتقارب.

وقول الشاعر:

ومشى الهم ثاقبا في فؤادي * ومشى الحزن نافذا في عظامي

[٢٨٨ / ٤] ــ الخفيف.

* وقد تكون: فعلية، منفية، ومن ذلك قول الشاعر:

فلا صد تخشاه بعد الوصال * ولا ضعف تشكوه بعد الأشر

[٥٢٧ /٢] ــ المتقارب.

وقول الشاعر:

---

(٢) دلالات التراكيب دراسة بلاغية : محمد محمد أبو موسى ٢٠٤.

ولا حن طرس إلى كاتب * ولا خف لفظ على مسمع

[٤٣٨ /٤] ــ المتقارب.

يلحظ أن هناك توازيا أفقيا تاما في التركيب النحوي للأبيات السابقة ؛ فقد اعتمد الشاعر على الجمل الفعلية الخبرية المتوازية المثبتة والمنفية و المسبوقة بحرف العطف للربط بين الأفكار.

كما يلحظ أيضا اعتماد الشاعر ــ في معظم الأبيات ــ علي الفعل الماض الثلاثي (ساس ــ مشى ــ حنّ ــ شاء ــ صدّ ــ عفّ ــ رضي ــ خفّ) لتأكيد المعاني والدلالات التي يود الشاعر إرسالها إلى جمهوره.

(د) الجمل الفعلية الإنشائية المتوازية:

من الملاحظ أن الجملة الفعلية الإنشائية: فقد تكون: فعلية، أمرية، ومن ذلك:

وعش لعرش المعاني * ودم لتاج البيان

[١٨٥ / ٤] ــ المجتث.

وقول الشاعر:

أروني نصف مخترع * أروني ربع محتسب

[٤٢٤ / ٩] ــ مجزوء الهزج.

وقول الشاعر:

فودع لنا الطود الذي كان شامخا* وشيع لنا البحر الذي كان مزيدا

[٣٤١ /١] ــ الطويل.

* وقد تكون: فعلية، ندائية، ومن ذلك قول الشاعر:

فيا قريض أجبني * ويا بيان أعني

[١٧٩ /٩] ــ المجتث.

وقول الشاعر:

ويا حزب اليمين إليك عنا * ويا حزب الشمال عليك منا

[٣٧١ /١١] ــ الوافر.

ورد التوازي الأفقي التام في الجمل الفعلية الإنشائية السابقة التي تنوعت ما بين الأمر والنداء ولكل دلالاته ؛ فقد جاء التوازي معتمدا على الأمر للدلالة على التعجيزفي (أروني) كما دل على الامتنان في (عش) وعلى التمني في (ودّع – شيّع) ، كما جاء التوازي التام

أيضا معتمدا على النداء بـــ (يا) ، ولم يكن المعنى العقلي وحده لطلب الإقبال هو ما يقصده الشعراء في شعرهم بل نوديت أحوال النفس من حب وبغض وحسرة ولذة إلى آخر ما تصرف فيه اللسان(١).

لذا جاء التوازي التام معتمدا على نداء المعنويات كـــ (البيان) و (حزب اليمين) لتوضيح بعض القضايا التي التي ينشغل بها الشاعر في ذلك الوقت كالقضايا السياسية وغيرها.

(هـــ) الجمل الشرطية المتوازية:

من الملاحظ أن الجمل المتوازية توازيا أفقيا قد تكون: شرطية، ومن ذلك قول الشاعر:

فإن شاء فالقرب الذي قد رجوته * وإن شاء فالعز الذي أنا آمل

[٤٤٢ /١] ــ الطويل.

خامساً : التوازي الأفقي التام بين فضلات الجمل:

التوازي التام بين: [حرف الجر + الاسم المجرور] ، ومن ذلك

قول الشاعر:

في الثرى ، في الجو ، في شم النسيم *في عباب البحر، في مجرى النهر

[٣٠٠ / ١٠] ــ الرمل.

وقول الشاعر:

لبنيك ، أم لذويك ، أم للكون أم * للدهر أم لجماعة الجوزاء

[٤٤٩ / ٣] ــ الكامل.

وقول الشاعر:

في مصر ، في تونس ، فـــي الهنـــد ، فـــي عدن

في الروس ، في الفرس ، في البحرين ، في حلب

[٤٨٩ /٦] ــ البسيط.

وقول الشاعر:

بالكأس أو بالطاس أو باثنيهما * أو بالدنان فإن فيه شفائي

---

(١) للمزيد حول دلالات الأمر والنداء ينظر : دلالات التراكيب دراسة بلاغية : محمـــد محمـــد أبـــو موســـى ص٢٥١، ص٢٦١.

[٩/ ٢٣٩] ــ الرجز.

وقول الشاعر:

ترمي به الدنيا ، فمن جوع إلى * عري ، إلى سقم ، إلى إقلال

[٥/ ٢٧٨] ــ الرجز.

وقول الشاعر:

خلق كضوء البدر، أو كالروض أو * كالزهر ، أو كالخمر ، أو كالماء

[٨/ ٤٤٣] ــ الرجز.

وقول الشاعر:

على الدين والدنيا ، على العلم والحجا * على البر والتقوى على الحسنات

[٢/ ٤٥٨] ــ الطويل.

لم يكتفي الشاعر بالتوازي التام بين الجمل ؛ بل استخدم التوازي التام بين فضلات الجمل ليظهر جانبا كبيرا من البيان والفصاحة .

سادساً : التوازي الأفقي الجزئي بين الجمل

التوازي الأفقي الجزئي: ويقصد به التطابق التام في كل عناصر البناء النحوي للجمل المتوازية توازيا أفقيا، عدا عنصر ، أو عنصرين ، من عناصر البناء، ويكون ذلك بالحذف والزيادة، أو الاستبدال، بين الشطرين المكونين للبيت الشعري، ومن الملاحظ أن التوازي الجزئي الأفقي بين الجمل قد يقع في جمل اسمية، أو فعلية، أو شرطية، أو بين فضلات الجمل، على نحو ما رأينا في التواز التام الأفقي بين الجمل، وهو ما سيتضح من خلال ما يلي:

(أ) زيادة حرف العطف:

من الملاحظ أن الاختلاف بين الجملتين المتوازيتين توازيا جزئيا في الشطرين قد يكون بزيادة حرف العطف بين الجمل المتوازية: اسمية وفعلية، ومن ذلك قول الشاعر:

نفاره أسرع من خاطري * وصده أقرب من مدمعي

[٢/ ٣٥] ــ المتقارب.

وقول الشاعر:

فرحت وفي نفسي من اليأس صارم * وعدت وفي صدري من الحلم مصحف

[٣/ ٢١] ــ الطويل.

وقول الشاعر:

قصرت عليك العمر وهو قصير * وغالبتفيك الشوق وهو قدير

[٣١ /١] ــ الخفيف.

وقول الشاعر:

ألبسوك الدماء فوق الدماء * وأروك العداء بعد العداء

[٢٥٢ / ٥] ــ الخفيف.

وقول الشاعر:

أسطولهم أمل في البحر مرتجل * وجيشهم عمل في البرمغترب

[٢٧٠ /٥] ــ البسيط.

وقول الشاعر:

أمنا فلم يسلك بنا الخوف مسلكا * ونمنا فلم يطرق لنا الذعر مرقدا

[٣٤١ /٧] ــ الطويل.

وقول الشاعر:

سكــت فأصغروا أدبــي * وقلت فأكــبروا أربــي

[٤٢٤ /١] مجزوء الوافر.

وقول الشاعر:

مثابة أرزاق ، ومهبط حكمة * ومطلع أنوار ، وكنز عظات

[٤٦٣ / ٢] ــ الطويل.

وقول الشاعر:

درج الزمان وأنت مفتون المنى * ومضى الشباب وأنت ساه مطرق

[٤١ /١] ــ الكمل.

وقول الشاعر:

تراءى لك الإقبال حتى شهدناه * ودان لك المقدار حتى أمناه

[٣٧ /١] ــ الطويل.

يلحظ أن الشاعر كسر التوازي التام بحرف العطف ، وعلى الرغم من ذلك فإننا نرى هذا النسق كيف اطرد له ولم ينحل عقده ولا اختل بناؤه ولولا ثقافة الشاعر ومراعاته إياه لما تمكن له هذا التمكن.

(ب) الاستبدال بين: (الجملة) و(شبه الجملة):

من الملاحظ أن الاختلاف بين الجملتين المتوازيتين توازيا جزئيا قد يكون في الاستبدال بين: (الجملة) و(شبه الجملة)، ومن ذلك قول الشاعر:

وأني الدخيل وأني الغريب * وأني النصير لفهارها

[٢/ ١٧١] ــ المتقارب.

(ج) الاستبدال بين: (الفاعل الظاهر) و(الفاعل المستتر+ الجار والمجرور)

من الملاحظ أن الاختلاف بين الجملتين المتوازيتين توازيا جزئيا قد يكون في الاستبدال بين: (الفاعل الظاهر) و(الفاعل المستتر+ الجار والمجرور)، ومن ذلك قول الشـــاعـــر:

هذا من الغرب قد سالت مراكبه * وذا من الشرق قد أوفى بطوفان

[٣/ ٣٠] ــ البسيط.

(د) الاستبدال بين: (الفعل اللازم) و(الفعل المتعدي):

من الملاحظ أن الاختلاف بين الجملتين المتوازيتين توازيا جزئيا قد يكون في الاستبدال بين: (الفعل اللازم) و(الفعل المتعدي)، ومن ذلك قول الشاعر:

هذا هو الملك فليهنئ مملكه * وذا هو الشعر فلتنشده أزماني

[٣٠ /١١] ــ البسيط.

(هـ) الاستبدال بين: (المفعول به)، و(الحال):

من الملاحظ أن الاختلاف بين الجملتين المتوازيتين توازيا جزئيا في الشطرين قد يكون في الاستبدال بين: (المفعول به)، و(الحال)، ومن ذلك قول الشاعر:

وقول الشاعر:

ومر النار أن تكف أذاها * ومر الغيث أن يسيل انهمارا

[٢٥٠ / ٥]ــ الخفيف.

(و) الاستبدال بين: (المفعول به) و(الجار والمجرور):

من الملاحظ أن الاختلاف بين الجملتين المتوازيتين توازيا جزئيا قد يكون في الاستبدال بين: (المفعول به) و(الجار والمجرور)، ومن ذلك قول الشاعر:

كشفوا عن نية الغرب لنا * وجلوا عن أفق الشرق الظلاما

[٢/ ٣٨١] ــ الرمل.

(ز) الاستبدال بين: (ظرف المكان) و(الجار والمجرور + المضاف إليه):

من الملاحظ أن الاختلاف بين الجملتين المتوازيتين توازيا جزئيا قد يكون في الاستبدال بين: (ظرف المكان) و(الجار والمجرور + المضاف إليه)، ومن ذلك قول الشاعر:

فلم تبقيا فوق الجزيرة بائسا * ولم تتركا في ساحة البيت معدما

[٥٥ /٢] ــ الطويل.

وقول الشاعر:

مشبع الحوت من لحوم البرايا * ومجيع الجنود تحت البنود

[٣٥٧ /٢] ــ الخفيف.

وقول الشاعر:

فقل للحزين وقل للعليل * وقل للملول : هناك الدوا

[٢٢٣ /١] ــ المتقارب.

(ح) الاستبدال بين: (الحال) و(الجار والمجرور):

من الملاحظ أن الاختلاف بين الجملتين المتوازيتين توازيا جزئيا قد يكون في الاستبدال بين: (الحال) و(الجار والمجرور)، ومن ذلك قول الشاعر:

فاتوا الأرض والسماء سواء * واتقوا النار في الثرى والفضاء

[٢٥٣ /٥] ــ الخفيف.

(ط) الاستبدال بين: (جملة التمني) و(جملة النهي):

من الملاحظ أن الاختلاف بين الجملتين المتوازيتين توازيا جزئيا قد يكون في الاستبدال بين: (جملة التمني) و(جملة النهي) ، ومن ذلك ،

قول الشاعر:

ألفنا الخمول ويا ليتنا * ألفنا الخمول ولم تكذب

[٢٥٨ / ٢] ــ المتقارب.

(ك) زيادة المضاف إليه

من الملاحظ أن الاختلاف بين الجملتين المتوازيتين توازيا جزئيا قد يكون في زيادة المضاف إليه ، ومن ذلك ،

قول الشاعر:

جزت غدائر شعر ، سرحت سفنا * واستنقذت وطنا ، واسترجعت نشبا

[٢٧٣ /٦] البسيط.

يلحظ استبتال الشاعر للتراكيب ، ويعد هذا من التوازي الجزئي ، الذي يظهر بلاغة الشاعر ومدى تمكنه من اللغة.

سابعاً : التوازي الرأسي التام بين الجمل

التوازي الرأسي التام بين الجمل: ويقصد به التطابق التام في كل عناصر البناء النحوي للجمل المتوازية على المستوى الرأسي، مستوى بناء القصيدة، ويكون ذلك بالتطابق التام بين كل بيتين متتاليين، أو بين كل مجموعة أبيات متتالية، وهو ما يحقق للنص ترابطا بنائيا رأسيا.

ومن الملاحظ أن هذا التوازي التام الرأسي قد يكون بين جمل كاملة، أو بين فضلات الجمل من: (جار ومجرور، أو صفة وموصوف، أو...)، والجمل المتوازية توازيا رأسيا تاما قد تكون: اسمية، وقد تكون فعلية، وقد تكون شرطية، أما كل من الجملتين: الاسمية، والفعلية فقد تكون خبرية، وقد تكون إنشائية، وهو ما سيتضح من خلال ما يلي:

(أ) الجمل الاسمية الخبرية المتوازية:

من الملاحظ أن الجمل الاسمية الخبرية قد تكون: اسمية، خبرية، مثبتة، ومن ذلك قول الشاعر:

غربية في علمها * مرموقة بين الأسر
شرقية في طبعها * مخدورة بين الحجر

[٥٠٨ /٢ ، ٣] ــ مجزوء الرجز.

وقول الشاعر:

رحمة الدين عليه كلما * خـــــرج التفسير عن طوق الأريب
رحمة الرأى عليه كلما * طاش سهم الرأي في كف المصيب
رحمة الحلم عليه كلما * دقــت الأشيــاء عــن ذهن اللبيب
رحمة الحلم عليه كلما * ضاق بالحدثــان ذو الصدر الرحيب

[٥٢٠ / ١:٤] ــ الرمل.

وقول الشاعر:

والبدر لا يبدو على ثغره * من بسمات اليمن ما يشرح
والنجم لا يزهو في افقه * كأنــه فــي غمــرة يسبح

[٤٠٩ / ٤،٣] ــ السريع.

وقول الشاعر:

ففي حزب اليمين لديك قوم * وإن قلوا فإنهم كـــــرام

وفي حزب الشمال لديك أسد * كماة لا يطيب لهاانهزام

[٣٧٠ /٤،٣] ــ الوفر.

- وقد تكون: اسمية، خبرية، منسوخة بـــ(بكاد)، ومن ذلك ، قول الشاعر:

لم تكد تدرك النفوس مـــرادا * في زمـــان المتوج العلوي

لم تكد تبلغ البـــلاد منـــاهـــا * تحت أفياء عدله الكسروي

لم يكد ينـــعم الفقير بعـــيـــش * من نداء وفيضه الحاتمي

[٥٠٥ /٥:٣] ــ الخفيف.

(ب) الجمل الاسمية الإنشائية المتوازية:

من الملاحظ أن الجملة الاسمية الإنشائية: فقد تكون: اسمية، استفهامية، ومن ذلك قول الشاعر:

فكم قتيل بات فوق الثرى * ينتابه الأظفور والمنسر

وكم جريح باسط كفه * يدعو أخاه وهو لايبصر

وكم غريق راح في لجة * يهوي به الطود فلا يظهر

وكم أسير بات في أسره * ونفسه من حسرة تقطر [٣٢٧ / ١١:٧] السريع

وقول الشاعر:

أمن العدل أنهم يريدون الـــ * ـــماء صفوا وأن يكدرون وردي

أمن الحق أنهم يطلقون الـــ * ـــأســـد منهم وأن تقيـــد أســـدي

[٤٠٦ /٧،٦] ــ الخفيف.

وقول الشاعر:

فما بال قومي لا يأخذون * لتلك الجنان طريقا سوا

وما بال قومي لا ينزلون * بغير جربي وبار اللوا

[٢٢٤ /٥،٤] ــ المتقارب.

وقول الشاعر:

وماذا في مساجدكم * من التبيـــان والخطب ؟
وماذا في صحائفكم * سوى التمويه والكذب ؟
[٤٢٥ /٢،١] ــ مجزوء الوافر.

يلحظ في الأبيات السابقة أن التوازي الرأسي التام اعتمد على الاستفهام ذلك لأن الاستفهام يهيء النفس لتتلقى من السياق ما يجيش به خواطر ومشاعر وصور هي التي جاشت في نفس متلقيه(١).

(ج) الجمل الفعلية الخبرية المتوازية:

من الملاحظ أن الجملة الفعلية الخبرية قد تكون: فعلية، خبرية، مثبتة، ومن ذلك قول الشاعر:

رحم الله منه لفظا شهيا * كان أحلي من رد كيد الأعادي
رحم الله منه طرفا تقيا * ويـــمينا تسيـــل سيـــل الغوادي
رحم الله منه شهما وفيا * كان مـــلء العيون في كل نادي
[٤٤٨ /٧:٥] ــ الخفيف.

وقول الشاعر:

فقدت مصر فريدا وهي في * موطن يعوزها فيه المدد
فقدت مصر فريدا وهي في * لهوة الميدان والموت رصد
[٥١٣ /٧،٦] ــ الرمل.

(د) الجمل الفعلية الإنشائية المتوازية:

من الملاحظ أن الجملة الفعلية الإنشائية: فقد تكون: للنداء باستخدام أداة النداء (يا) ، ومن ذلك قول الشاعر:

ويا حزب اليمين إليك عنا * لقد طاشت نبالك والسهام
وياحزب الشمال عليك منا * ومن أبناء نجدتك السلام
[٣٧١ /١٢،١١] ــ الوافر.

* قد تكون الجملة الفعلية الإنشائية: للنداء بدون أداة النداء (يا) ، ومن ذلك قول الشاعر:

(١) دلالات التراكيب دراسة بلاغية : محمد محمد أبو موسى ص٢٤٤.

رجال الغد المأمول إنا بحاجة * إلى قادة تبني وشعـــــب يعمر
رجال الغد المأمول إنا بحاجة * إلى عالم يدعو وداع يذكـــــــر
رجال الغد المأمول إنا بحاجة * إلى عالم يدري وعـــــلم يــقرر
رجال الغد المأمول إنا بحاجة * إلى حكمة تملـــــي وكف تحرر
رجال الغد المأمول إنا بحاجة * إليكم فسدوا النقص فينا وشمروا

[٣٥٥ /١٠:١٥] ــ الطويل.

* وقد تكون الجمل الإنشائية المتوازية للإستفهام ، ومن ذلك ، قول الشاعر:

أحسنو القتل إن ضننتم بعفو * أقصاصا أردتم أم كيــادا ؟
أحسنو القتل إن ضننتم بعفو * أنفوســا أصبتم أم جمادا ؟

[٣٣٥ /٢،١] ــ الخفيف.

إذا ما دققنا النظر في الأبيات السابقة نجد أنها جاءت في سياقي النصح والرثاء ؛ وكلا السياقين يستلزم الأسلوب السهل والجمل الواضحة ؛ لذا صبّ الشاعر جُلّ اهتمامه على التراكيب الواضحة وإن كلفه ذلك تكرار التراكيب ذاتها مثل (فقدت مصر فريدا) و (رجال الغد المأمول) ؛ لأن التكرار مع التوازي يثبت الأفكار ويؤكدها.

(هــ) الجمل الشرطية المتوازية:

من الملاحظ أن الجمل المتوازية توازيا رأسيا قد تكون: شرطية ، ومن ذلك قول الشاعر:

وإذا القنابل دمدمت وتفجرت * تحت الغبار تفجر البركان
وإذا البنادق أرسلت نيرانها * طلقا وأسباب الهلاك دواني

[٤٥ /٣،٢] ــ الكامل.

ثامناً : التوازي الرأسي التام بين فضلات الجمل

التوازي التام بين: [جار ومجرور+ مضاف +مضاف إليه + صفة] ، وما يماثله، ومن ذلك قول الشاعر:

تندى وتيبس للخلائق كفه * بالماء طوع الأصفر البراق
لا شيء يلوي من هواه فحده * في السلب حد الخائن السراق

[٢٨١ /٧،٦] ــ الكامل.

التوازي التام بين: [حال + مضاف + مضاف إليه + جار ومجرور]، وما يماثله، ومن ذلك قول الشاعر:

رفقا عميد الدولتين بأمة * ضاق الرجا بها وضاق المذهب

رفقا عميد الدولتين بأمة * لـــيست بـــغير ولائها تتعـــذب

[٣٣٧ /٨،٧] ــ الكامل.

لم يكتفي الشاعر بالتوازي الرأسي التام بين الجمل ؛ بل استخدم التوازي الرأسي التام بين فضلات الجمل ليظهر جانبا كبيرا من البيان والفصاحة .

تاسعاً : التوازي الرأسي الجزئي بين الجمل

التوازي الرأسي الجزئي: ويقصد به التطابق التام في كل عناصر البناء النحوي للجمل المتوازية توازيا رأسيا، عدا عنصر ، أو عنصرين، من عناصر البناء، ويكون ذلك بالحذف والزيادة، أو الاستبدال، بين كل بيتين، أو مجموعة أبيات، ومن الملاحظ أن التوازي الجزئي الرأسي بين الجمل قد يقع في جمل اسمية، أو فعلية، أو شرطية، أو بين فضلات الجمل، على نحو ما رأينا في التواز الأفقي التام بين الجمل، وهو ما سيتضح من خلال ما يلي:

(أ) زيادة حرف العطف:

من الملاحظ أن الاختلاف بين الجملتين المتوازيتين توازيا رأسيا جزئيا قد يكون بزيادة حرف العطف بين الجمل المتوازية: اسمية، وفعلية، وشرطية، وقد تكون خبرية، وقد تكون إنشائية.

ومن الجمل الفعلية الخبرية المتوازية توازيا رأسيا جزئيا ،

قول الشاعر:

أجريت في أثنائها * نهر انسجام الكوثر

وخبأت في ألفاظها * من كل معنى مسكر

[١٩١ /٦،٥] ــ مجزوء الرجز.

ومن الجمل الشرطية المتوازية توازيا رأسيا جزئيا

قول الشاعر:

فإذا المدافع في النزال تجاوبت * بزئيرها وتلاحم الجيشان

وإذا القنابل دمدمت وتفجرت * تحت الغبار تفجر البركان

[٤٥ /٢،١] ــ الكامل.

(ب) الاستبدال بين: (الجملة الفعلية)، و(والجار والمجرور):

من الملاحظ أن الاختلاف بين الجملتين المتوازيتين توازيا جزئيا رأسيا قد يكون في الاستبدال بين: (الجملة الفعلية)، و(والجار والمجرور) ، ومن ذلك قول الشاعر:

وقل للأديب : ابتدر ساحها * إذا ما البيان عليك التوى

وقل للمكب على درسه * إذا نهك الدرس منه القوى

[٢٢٣ / ٣،٢] ــ المتقارب.

(ج) الاستبدال بين: (الفعل الماضي) و(الفعل المضارع):

من الملاحظ أن الاختلاف بين الجملتين المتوازيتين توازيا جزئيا رأسيا قد يكون في الاستبدال بين: (الفعل الماضي) و(الفعل المضارع)، ومن ذلك قول الشاعر:

فسلام عليك يوم توليـــــ * ـــت بما فيك من مغان حسان

وسلام عليك يوم تعوديـــ * ـــــن كمـــا كنت جنة الطليان

[٢٢٠ /٧،٦] ــ الخفيف.

(د) الاستبدال بين : (الجاروالمجرور) و(والمعطوف) و(الحال):

من الملاحظ أن الاختلاف بين الجملتين المتوازيتين توازيا جزئيا رأسيا قد يكون في الاستبدال بين: (الجاروالمجرور) و(والمعطوف) و(الحال) ، ومن ذلك قول الشاعر:

هي أم الأرض في نسبتهـــا * وهي أم الكون والكون جنين

هي أم النـــار والنور معـــا * هي أم الريح والماء المعين

هي طلع الروض نورا وجنى * هي نشر الورد طيب الياسمين

[٢٠٨ /٨:٦] ــ الرمل.

(هـــ) الاستبدال بين : (جملة الشرط) و(المضاف إليه):

من الملاحظ أن الاختلاف بين الجملتين المتوازيتين توازيا جزئيا رأسيا قد يكون في الاستبدال بين: (جملة الشرط) و(المضاف إليه) ، ومن ذلك قول الشاعر:

الأم مدرســـة إذا أعددتها * أعددت شعبا طيب الأعراق

الأم روض إن تعهده الحيا * بالري أورق أيما إيراق

الأم أستاذ الأساتذة الأولي * شغلت مآثرهم مدى الآفاق

[٢٨٢ /٦:٤] ــ الكامل.

يلحظ استبتال الشاعر للتراكيب ، ويعد هذا من التوازي الرأسي الجزئي ، الذي يظهر قدرة الشاعر اللغوية على سبك الجملة والعبارة ، ومدى تمكنه من توظيف التوازي التركيبي لخدمة أغراضه الدلالية والبلاغية.

الخاتمة

بعد هذا العرض للجمل المتوزية في ديوان حافظ إبراهيم أمكن لنا أن نخلص إلى النتائج التالية:

أصالة ظاهرة الجمل المتوازية في تراثنا العربي القديم: قرآنا وحديثا، وشعرا، ونثرا.

وعي القدماء، نقادا وبلاغيين، بظاهرة الجمل المتوزية، ودراستهم لها، وهو ما يشير إلى تميزهم وأصالة فكرهم اللغوي.

وجود الظاهرة بشكل ملحوظ، وبنسبة عالية، في ديوان حافظ إبراهيم ، وهو ما يشير إلى وعي الشاعر بهذه الظاهرة، بل وإلحاحه عليها في كثير من القصائد.

وجود الظاهرة في كل أنواع الجمل، اسمية، وفعلية، وشرطية، وكذلك فضلات الجمل، وكذلك الجمل: خبرية، وإنشائية، في ديوان حافظ إبراهيم، وهو ما يشير إلى قدرة الشاعر اللغوية على سبك الجملة والعبارة.

توظيف الشاعر للظاهرة بشكل حمَّل الظاهرة كثيرا من الأبعاد الدلالية، وهو ما جعلنا نشعر أن النحو لدى الشاعر ليس نحوا قواعديا تعليميا يحفل بالصواب والخطأ، بقدر ما هو نحو إبداعي، وهو ما يتواءم والثورة العارمة الملحوظة في ديوانه على الموروثات الفكرية والاجتماعية البالية لدى مجتمعاتنا العربية.

المصادر والمراجع

* الأبشهي، شهاب الدين محمد بن أحمد أبو الفتح الأبشيهي، (ت ٨٥٠هـ):

١- المستطرف في كل فن مستظرف، شرحه ووضع هوامشه الدكتور مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.

* ابن أبي الإصبع المصري، (ت ٦٥٤ هـ):

٢- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تحقيق

* (ابن منظور)، جمال الدين أبو الفضل ابن منظور(ت ٧١١ هـ):

٣- لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، (د.ت).

* أسامة بن منقذ، (ت ٥٢٨هـ):

٤- البديع في نقد الشعر، تحقيق الدكتور أحمد أحمد بدوي آخرين، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، القاهرة، ١٩٦٠م.

* البخاري: محمد بن إسماعيل البخاري، (ت ٢٥٦هـ):

٥- صحيح البخاري، تحقيق الدكتور مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت، ١٩٨٧م.

* البدراوي زهران :

٦ـ في علم اللغة التاريخي دراسة تطبيقية على عربية العصور الوسطى ـ دار المعارف ـ القاهرة ـ ط٤ ـ ١٩٩٩م

* برند شبلنر:

٧- علم اللغة والدراسات الأدبية، دراسة الأسلوب، البلاغة، علم اللغة النصي، ترجمة دكتور محمود جاد الرب، الدار الفنية للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.

* حافظ إبراهيم :

٨ ـ ديوان حافظ إبراهيم ، ضبطه وصححه وشرحه ورتبه أحمد أمين وآخرون ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ ط٢ ـ ١٩٨٧م.

* حفني محمد شرف:

٩- بديع القرآن، تحقيق الدكتور حفني محمد شرف، دار نهضة مصر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٥٧م.

* خليل أحمد عمايرة:

١٠- في نحو اللغة وتركيبها، مكتبة المنار، الأردن، ١٩٩٠م.

* رجب عبد الجواد:

١١- مقال: الجمل المتوازية عند طه حسين، دراسة في أحلام شهر زاد، مجلة علوم اللغة، المجلد ٣، العدد ٤، عام ٢٠٠٠م، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ص ٢٣١.

* سعد مصلوح:

١٢- مقال: نحو أجرومية للنص الشعري، دراسة في قصيدة جاهلية، مجلة فصول، المجد العاشر، العددان الأول والثاني، يوليو وأغسطس ١٩٩١م.

* (السكاكي)، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي، (ت ٦٢٦هـ):

١٣- مفتاح العلوم، ضبطه وشرحه الأستاذ نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٣م.

* السيد خضر :

١٤ـ التكرار الأسلوبي في اللغة العربية ـ دار الوفاء للطبع والنشر المنصورة ـ ط١ ـ ٢٠٠٢م ـ

* صلاح فضل:

١٥- بلاغة الخطاب وعلم النص، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد (١٦٤)، أغسطس ١٩٩٢م.

١٦- علم الأسلوب، مبادئه وإجراءاته، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٨٥م.

* عبد الوافي حسن الشيخ :

١٧ـ البديع والتوازي ـ مكتبة الإشعاع ـ الإسكندرية ـ ط١ ـ ١٩٩٩م ـ

* (العسكري)، أبو هلال العسكري، (٣٩٥هـ):

١٨- الصناعتين: الكتابة، والشعر، حققه وضبط نصه الدكتور مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨١م.

* فاطمة محجوب :

١٩ـ دراسات في علم اللغة ـ دار الآفاق العربية ـ القاهرة ـ ٢٠٠٣م ـ.

* فريد عوض حيدر :

٢٠ــ شعر أبي القاسم الشابي دراسة أسلوبية ــ مكتبة زهراء الشرق ــ القاهرة ــ ٢٠٠٢م

* قدامة بن جعفر، (ت ٣٣٧هـ):

٢١- جواهر الألفاظ، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة، ١٩٣٢م.

٢٢- نقد الشعر، تحقيق الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).

* (القزويني)، الخطيب القزويني، (ت ٧٣٩هـ):

٢٣- الإيضاح في علوم البلاغة، شرح وتعليق وتنقيح الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتاب اللبناني، الطبعة الخامسة، ١٩٨٠م.

* كريم حسام الدين :

٢٤ــ الدلالة الصوتية ــ مطبعة الأنجلو المصرية ــ ط١ ــ ١٩٩٢م .

* محمد محمد أبو موسى :

٢٥- خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني _ مكتبة وهبة _ القاهرة _ ط٤ _ ١٩٩٦م.

٢٦- دلالات التراكيب دراسة بلاغية _ مكتبة وهبة _ القاهرة _ ط٢ _ ١٩٨٧م.

* محمود الشرقاوى إبراهيم :

٢٧ــ ظواهر التركيب في شعر علي محمود طه ــ زسالة دكتوراه ــ كلية البنات ــ جامعة عين شمس ــ ٢٠٠٦م .

* محمود فهي حجازي :

٢٨ــ علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة ــ الهيئة العامة للكتاب ــ القاهرة ــ ١٩٧٠م

* Robert Allin de Beaugrand and Wolfgang Ulrich Dresslar:

29 - Interduction to text Linguistics, Longman, London, New York, P3.